(الفصل التاسع)

"وبدأت الحكاية"

دخلت ناردين غرفة العمليات وظل نور الدين منتظرًا خروجها بالخارج في قلق حتى انتهت العملية، وخرجت من غرفة العمليات، لكنها ما زالت تحت تاثير المخدر وغائبة عن الوعى تمامًا.

عندما شاهدها نور الدين تخرج تنفس الصعداء ثم حمد الله كثيرًا، سار معها حتى أدخلها الممرضون إلى الغرفة العادية لتستفيق، شكر الطبيب ثم جلس بجوارها ينتظر إفاقتها.

في هذه الأثناء لم يكن بالغرفة سوى ناردين نائمة ونور الدين جالسًا بجوارها، ينظر إلى وجهها الجميل البريء وهو يحدث نفسه قائلًا:

- **ما أجمل ملامحكِ البريئة تلك! وكأنكِ ملاكٌ نائمٌ، هل تعلمين؟ يحدث داخلي أشياء غريبة لا أعلم ما تفسيرها، لقد أغلقت قلبي منذ فترة؛ لأنه تألم كثيرًا وما زال حتى الآن يعانى من هذا الألم، لكني أجدني رغمًا عني منجذبًا إليكِ. هل تعلمين؟ كم أخشى من انجذابي هذا، أعتقد بأنه سوف يدمرني فى النهاية، ورغم ذلك فإني أجد في نفس الوقت راحة في القرب منكِ، لا أدرى ما مبررها، لكن عقلي**

يحدثني بالوقوف بعيدًا عنكِ، وهذا ما سأحاول أن أفعله، أعتقد أن هذا هو الأنسب لي ولكِ؛ فالأفضل أن لا نقترب أكثر من ذلك.

وهنا قاطع حديثه هذا صوت ناردين وهي تهذي ببعض الكلمات قائلة:

- **أبي، لماذا تركتني وحدي؟ لماذا تركتني له ليعذبني؟ أنا أكرهه وأكرهكَ أنتَ أيضًا يا أبي، لماذا أهملتني برغم أنني أحبكَ كثيرًا كثيرًا؟ آه، بسببك يا أبي، فكل ما عانيته كان بسببك، لقد ماتت روحى، لقد متُ، لقد متُ أنا. آه، آه، أنا أموت، ليتني أموت وأستريح.**

ثم صمتت وعادت لنومها. سمعها نور الدين فى اندهاش، سمع كل حرف تفوهت به، فعلم بأنها هي الأخرى قد تألمت كثيرًا، ولكنه لا يعلم، ماذا حدث لها، وما هو هذا الألم الذى قتل روحها. نظر إليها في شفقة وتألم ثم تمتم:

- **من أجل ذلك... من أجل ذلك...**

ثم تابع:

- **من أجل ذلك كنتِ تعاملينني بهذه القسوة وبهذا الجفاء، ولكن من هذا الذي تحدثتي عنه؟ من هذا الذي عذبكِ وقتلكِ هكذا؟**

في هذه اللحظات قاطعه صوت ناردين وهي تتألم قائلة:

- **آه، آه، أين أنا؟ وما الذي حدث لي؟**

فأجابها نور الدين مبتسمًا:

- **حمد لله على سلامتك فلقد أجريت لكِ عملية لإزالة الزائدة الدودية، اطمئني فأنتِ بخير الآن.**

فابتسمت وبصوت متألم قالت:

- **شكرًا لكَ؛ لقد أنقذت حياتي والآن أصبحت مدينة لكَ بها.**

فابتسم ثم رد قائلًا:

- **لا عليكِ، دعكِ من هذا الكلام الكبير، فأنا فعلتُ ما وجب عليَّ، ولو كنتِ أنتِ التي بمكاني لفعلتِ مثلي وزيادة، المهم يجب أن تتماثلي للشفاء بأسرع وقت ممكن؛ حتى نعود إلى عملنا، وحتى تستردي عافيتكِ، سوف أقوم أنا بمباشرة العمل في مزرعتكِ ومزرعتي، ثم أعود إليكِ في المساء.**
- **اها، بالمناسبة هل تحتاجين لشيء أحضره معي؟**

فابتسمت ثم قالت:

- **شكرًا لك، نعم، من فضلك أريد بضعة أغراض من أغراضي.**

فرد قائلًا:

- **حسنًا، سوف أحضر ما تريدينه معي في المساء. هل تريدين أن نخبر أهلكِ بما حدث لكِ ليطمئنوا عليكِ؟** فتغيرت تعابير وجهها واختفت الابتسامة وحل محلها الحزن، ثم ردت بصوت يملؤه الحزن والألم قائلة:

- **لا، لا يوجد داعٍ لإخافتهم وإزعاجهم.**

ففهم على الفور بأنها لا تريد أن تتحدث عن أسرتها، وخاصة بعد ما سمع حديثها عن والدها؛ فنظر إليها في تأثر ثم قال:

- **حسنًا، لا تهتمى الآن، ثم أنني سوف أعتني بكِ حتى تعودي كالسابق بل أفضل، فهذا واجبي بصفتي شريككِ وجاركِ، أليس كذلك؟**

ثم ابتسم وودعها بتلك الابتسامة قائلًا:

- **نلتقى في المساء إن شاء الله، هيا استريحي أنتِ الآن.**

غادر غرفتها وهي تتبعه بنظراتها حتى اختفى تمامًا من أمامها، فابتسمت متمتمة:

- **من حسن حظي أنكَ موجود.**

بينما غادر نور الدين متجهًا إلى عمله، وهو يتمتم:

- **أعتقد أنكَ قد عشقتها حقًّا، ويا لكَ من أحمق، ستفتح على قلبكَ نيران الألم من جديد.**

ثم تنهد قائلًا:

- **فليكن، ففي جميع الأحوال أنتَ تعاني، ولقد اعتدتَ الألم، فربما يخيب ظنكَ وتكون هي سعادتكَ لم لا؟ ولكن عليَّ أن أعرف أولًا ما الذي تخفيه؟ ما الذى عانت منه في الماضي؟ ومن هذا الذي عذبها؟ وكيف؟ أسئلة كثيرة، ولكني سوف أجد إجاباتها كلها بنفسي، والآن يجب أن أخبر مدير المشروع بما حدث، ثم أعود لأنهي بقية أعمالي.**

بالفعل ذهب نور الدين إلى مدير المشروع؛ ليخبره بما حدث لناردين فطرق الباب واستاذن في الدخول ثم قال:

- **مرحبًا يا سيدي، أريد أن أخبركَ بأمر مهم.**

فانتبه المدير إليه وأجابه مبتسمًا:

- **مرحبًا بكَ يا بشمهندس، كيف حالك؟ وكيف حال العمل؟**

أجابه في امتنان:

- **الشكر لله، فالأمر على ما يرام، ولكن بالأمس أصيبت المهندسة ناردين زميلتي بالمشروع بالتهاب حاد بالزائدة الدودية، وأجريت لها عملية بالأمس في المستشفى العام، وهي الآن هناك.**

فنهض المدير من مجلسه على الفور ثم قال منزعجًا:

- **ولماذا لم تخبرنا بالأمس؟ وكيف حالها الآن؟**
- **لقد حاولت كثيرًا الاتصال بكم، وطلب المساعدة، ولكن الأحوال الجوية السيئة أعاقت الاتصالات بالأمس، لكني الحمد لله استطعت إنقاذها، وهي الآن بحالة جيدة، كما أنني لن أتركها بمفردها وسوف أرعاها حتى تسترد عافيتها بالكامل.**

فابتسم المدير ثم ربط على كتف نور الدين قائلًا:

- **أحسنت يا بشمهندس، فهكذا يكون الرجال.**
- **شكرًا لكَ سيدى، هل لي بسؤالك عن أمر ما؟**
- **تفضل، اسأل عما تريد.**
- **كيف أتت ناردين إلى هنا؟ أعلم أن هذا المكان للرجال فقط، أليس كذلك؟ فكيف سمحتم لفتاة باستلام مشروعها هنا؟**
- **معك حق فهذا المكان للرجال فقط، ولكن موضوع المهندسة ناردين خاص إلى حد ما، ويعتبر حالة استثنائية؛ فهي من طلبت نقلها إلى**

هنا، ولأن خالها مسؤول كبير بوزارة الزراعة؛ فقد توسط لها حتى تتم جميع الإجراءات، وهكذا تم الأمر.

- **عندما عارضت أنا هذا الأمر في البداية أخبرني خالها بأنها تمر بحالة نفسية صعبة للغاية، وأن هذا المكان النائي سوف يساعدها على تجاوز ما عانته.**

استمع نور الدين لحديث المدير في انتباه شديد ثم قال:

- **حسنًا، شكرا لكَ سيدى.**

وانصرف وهو يحدث نفسه قائلًا **"إذن؛ فهناك أسرار كثيرة في حياتكِ يا ناردين."**.

وربط بين ما سمعه منها في المستشفى وما أخبره به المدير، إذن الأمر يتعلق بأشياء خطيرة ومرعبة عاشتها تلك المسكينة، إذن، فهذا الألم الذي عاشته هو الذي جعلها تتصرف بهذا الشكل الذي عرفها عليه في بداية تعارفهما، إذن، فهي ليست تلك الفتاة المزعجة، المتعجرفة المدللة كما كان يظن، فهي مسكينة مجرد فتاة تخشى أن تتألم مرة أخرى، فقط هذا كل شيء، ثم عاد إلى الأرض فباشر الأعمال ونادى على أحد العمال قائلًا:

- **يا عارف.**
- **أمرك يا بشمهندس.**

- **ألا يوجد سوق هنا؟ أريد شراء بعض الأشياء.**
- **يوجد يا بشمهندس، في البلد يقام سوق يتبادل فيه أهل الواحة البضائع.**
- **جيد، إذن، خذني إليه.**

وذهب مع عارف إلى السوق؛ فلقد أراد أن يعد حساءً لناردين حتى تسترد عافيتها، اشترى الدجاجة وبعض الخضراوات والفاكهة الطازجة بما تبقى معه من مال، ثم عاد إلى السكن؛ فأعد حساء الدجاج، وأحضر حقيبة صغيرة ودخل إلى غرفة ناردين ليحضر لها بعض الأغراض كما طلبت، ففتح خزينة ملابسها وأخذ بعض الملابس ووضعها في الحقيبة، وأثناء جمعه لأغراضها من خزينة ملابسها سقطت علبة صغيرة كانت موجودة بالخزينة على الأرض؛ فتبعثرت محتوياتها هنا وهناك، حاول جمع محتوياتها من على الأرض، فوقعت بيده ورقة مطوية، وعندما فتحها كانت المفاجأة.